مأســاةُ الشــاب علــي

كـان الشـاب علـي المحمـود المتخـرج مـن مـدارس درعـا والحاصل علىٰ البكالوريا ، وهو يتحضَّرُ لدخولِ معهد دار المعلمين في اليوم التالي ، وقد جمعَ حاجاتِهِ وكتبه وأقلامه ، وكان يُمنِّي النفسَ بتحقيق رغبته التي حلم بها دائماً ، وهي أن يصبح معلماً يُخرِّجُ الأجيالَ علىٰ الخُلُقِ الحَسنِ وحب الوطن ، وقد تواعدنا علىٰ السفر باكراً إلىٰ مدينةِ درعا في حافلة وحيدةٍ تنطلق من مدينة فيق لتعود إليها في المساء .

هَبَّت عاصفةٌ شديدةٌ علىٰ القرية العالية واشتدَّ الريح والمطرُ وقصفَ الرعدُ ولمعَ البرقُ شديداً ، ووسط هذه الأجواء العاصفةِ سقطت صاعقَةٌ شديدةٌ علىٰ الحارةِ الشرقيةِ من القريةِ في أعلىٰ منطقةٍ ، حيث يوجد بيتُ الشاب علي ، وأُمه تجلس إلىٰ جانبِه ، وهي التي كانت تُعِدُّ له زوّادَتَه وحاجاتِه الضرورية في سفره صباح يوم غدٍ ، فألهبت هذه الصاعقةُ جَسَد الشابِّ وأمِّهِ وتفجَّرَتْ الدماء من قلبيهما وتركتهما جُثَّتين مُحطَّمتين وقد ضمتهُ أمُّه إلىٰ صدرها ، وصارت أحلامُه في مهبِّ الريح تحملها روحُه معها

إلىٰ باريها ، ولن يضيعَ الله أجرَ من أحسن عمله .

وسرنا في وداعه الأخير إلىٰ مَقْبَرةِ القريَةِ ، وأدىٰ الحَرَسُ العسكري جانب المقبرةِ ، التحيَّةَ العسكرية للموكبِ عندما مرَّ من أمامِهِ . وقد أَبَّنَهُ أهلُه ورفاقُهُ باللَّوْعَةِ والأسىٰ .

أما والدته فَدُفِنَتْ إلىٰ جانبِهِ ، ونساءُ القرية يبكين عليها وعليه ويذكُرانِها بجميلِ أعمالها .

وهناك رفيقٌ آخرُ من طالبي العلم ، حيث كان يستعِدُّ لدخولِ الجامعة في دمشق ، اختطفته يَدُ المنون من بين أهله وأصحابه عندما كان في رحلةٍ إلىٰ وادي خالد ، حيث الاستجمامُ بحماماتٍ ساخنةٍ كبريتيةٍ وَغَرِقَ وهو يسبَحُ في أَحَدِ الغُدْران العميقَةِ ، إنه الشاب إبراهيم الموسىٰ ، وبَقِيَتْ أمُّه مُلْتاعَةَ الفؤادِ عليهِ حتىٰ فارقَتِ الحياةِ ، وأصحابُه قد حزِنوا عليه أشدَّ الحزنِ ، وأَبَّنَتْهُ القريةُ بالأسىٰ والحسرةِ علىٰ شبابه المأسوفِ عليه ، وهم يذكرونه بجميل أخْلاقِهِ .

والمأساةُ الأخرىٰ التي وقعت في وادي السمك للشاب جمال ، الذي كان يستعِدُّ لدخولِ امتحان الشهادة الثانوية عندما لَسَعَتْه أفعىٰ سامة هَرِمَة تركَتْهُ ميتاً بلا حراك ، وكانت المصيبةُ مؤثّرةً علىٰ أهله وأصحابه وأهلِ القرية .

* * *